نماذج فنية
من الأدب والنقد

تأليف الأستاذ انور المعداوي

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

علم من أعلام النقد الأدبي في العصر الحديث، وأديب من أدباء الطبقة الأولى — ظهرت مقالاته الأدبية منذ سنوات، فلفتت إليه الأنظار والأفكار، وجمعت حوله القلوب والعقول، وهيأت له مكانة عجز عن الوصول إليها كثير من الأدباء. قرأت له تعقيباته التي يوالي نشرها في الرسالة الزاهرة، فوجدته يمتاز في هذه التعقيبات بالنفاذ إلى صميم ما يعرض له من موضوعات الأدب، وشؤون الفكر، ونظريات الفن، ومن هناك يسلط أضواءه القوية على كل زاوية من زوايا الموضوع الذي يتناوله بالدراسة والنقد، فتبدو الأشياء سابحة في النور، بعد أن كانت مغلفة بالظلام، ويصبح ما كان بعيدا عن الأفهام، وقد صار أدنى إليها من كل شيء سواه. وسر هذه القدرة أن الأستاذ لا يفكر بذهنه فحسب، ولكنه يفكر بقلبه أيضا. وحين يستطيع القلب أن يفكر، فإنه ينفذ إلى حقائق الأشياء

ثم لقيت الأستاذ المعداوي، وتوطدت بيننا أواصر المودة وصلات الأخوة، فلم أجد فارقا جوهريا بين شخصيته في الأدب وشخصيته في الحياة؛ فهو في كليهما قوي الشخصية، يعرف لنفسها حقها من التفوق، ونصيبها من الامتياز، فلا يضعها إلا فيما يليق بها؛ ومن هنا يأتي اعتداده بنفسه، ذلك الاعتداد الذي لا يبلغ حد الغرور. وهو جرئ في الحق، صريح في إبداء الرأي، لا يتأثر بصداقة الأصدقاء، ولا يتهيب سطوة ذوي الجاه والسلطان. ومواقفه في ذلك معروفة مشهورة. وهو متسامح مع الناس في شؤون الحياة، ولكنه لا يتسامح معهم في شؤون الفن والأدب. ومن هنا كان عنفه في مدافعة ما يراه خطأ وباطلا من الآراء والأفكار، ومن هنا أيضا كان اتهامه بأنه معول هدم في الحياة الأدبية، وليس عامل بناء! وقد دافع هو عن نفسه دفاعا قويا «هدم» به هذا الاتهام من أساسه، وذلك في المقدمة الرائعة التي قدم بها لكتابه الأول «نماذج فنية من الأدب والنقد»

وهذا الكتاب يضم بين دفتيه طائفة من المقالات والدراسات الأدبية، منها تعقيباته المشهورة، بعد أن تناولها بشيء من التنقيح والتجويد، وبشيء من الحذف هنا، والزيادة هناك. وهو يعطينا صورة واضحة عن الأستاذ المعداوي كناقد أدبي وكدارس شخصيات، يملك موهبة فائقة، واستعدادا ممتازا، واطلاعا واسعا منوعا، ويملك فوق ذلك تجارب إنسانية مختلفة تعينه على إدراك الأعمال الأدبية إدراكا صحيحا، وعلى فهم الشخصيات الإنسانية فهما مباشرا؛ لأن هذه التجارب الإنسانية المختلفة تجعله أقدر على التجاوب مع أصحاب هذه الشخصيات، وتلك الأعمال، في تجاربهم الخاصة. والتجاوب النفسي شرط أصيل في إدراك الأعمال الأدبية، وفي فهم الشخصيات الإنسانية على السواء، والذين ينقصهم هذا التجاوب من النقاد يقفون بنقدهم عند المظاهر الواضحة دون أن يصلوا إلى البواعث النفسية. وقارئ هذا الكتاب يرى بوضوح أن صاحبه قد احتفل بكل موضوع من موضوعاته أتم احتفال، واحتشد له أكمل احتشاد حتى لم يدع زيادة لمستزيد، أو سؤالا لمستفهم، ويرى كذلك أنه يتفوق على نفسه في بعض ما كتب، وذلك حين تتيح له طبيعة الموضوع أن يبدي كل ما لديه من موهبة، ويعرض كل ما يملك من استعداد، ثم هو يجد الأستاذ يفكر دائما بعمق وبوضوح، وهذه ميزة، ويجده مع ذلك يملك المقدرة الفائقة على الإبانة والتوضيح، وهذه ميزة أخرى؛ لأن الإنسان قد يفكر بعمق في شأن من الشؤون، فإذا أراد أن يعبر عن أفكاره خانته وسائل التعبير؛ لأنه لا يملك منها الشيء الكثير

أما أسلوب الأستاذ، فإنه يمتاز بالدقة والتناسب والانسجام ونعني بالدقة اختيار الكلمات التي تحدد المعنى تحديداً تاما، وذلك من ألزم اللوازم في النقد الأدبي؛ ونعني بالتناسب أنه يوجز في مواضع الإيجاز، ويطيل في مواضع الإطالة، فلا يخل بذلك،

ولا يعل بهذه . أما الانسجام فهو تلوين الأسلوب بحيث يلائم طبيعة الموضوع . ولهذا الموضوع موسيقا رائعة الوقع ، شجية الرنين ، تمتاز بالجلال فى موضوعات النقد ودراسة الشخصيات وتنفرد بالجمال فى موضوعات العاطفة والوجدان . وليس من شك فى أن أسلوب الأستاذ المداوى يعد من أجل الأساليب الأدبية المعاصرة . وما كان الأسلوب الأدبى فى أى عصر من العصور أجل منه فى هذا العصر الذى نعيش فيه

والخلاصة أن الأستاذ المداوى ناقد ملهم ، قوى الطبع ، عظيم الموهبة ، وافر الأداة ، كامل الاستعداد ، مخلص فى عمله ، مؤثر له ، متوفر عليه ، وهذه الصفات مجتمعة لا تكاد تتحقق الآن فى أحد سواه

ولى بعد ذلك ملاحظات على بعض ما أورده الأستاذ فى ثنايا كتابه . وهى فى الحقيقة ملاحظات يسيرة لا تنقص من قيمة هذا العمل الأدبى العظيم :

يرى الأستاذ فى مقاله « حول مشكلة الفن والقيود » أن العقل الواعى هو الذى يقول للشاعر إن الجو الشعرى لهذه القصيدة يصلح له هذا الوزن دون ذاك ، وتتلاءم معه هذه الموسيقا الداخلية دون تلك ...

وهذا بالتجربة غير صحيح ، لأن العقل الباطن هو الذى يدرك أولا الصلة بين الجو الشعرى للقصيدة ، والوزن الموسيقى الذى يصلح له ، والموسيقا الداخلية التى تلائمه ... ثم ينبعث منه بعد هذا الإدراك — ذلك الوزن الصالح ، وتنبع منه هذه الموسيقا الملائمة . أما العقل الواعى فإنه « يلمس » بعد ذلك هذه الصلة

ومطلع القصيدة الذى يحدد وزنها الشعرى ، هو عند الشعراء الملهمين هدية من العقل الباطن لا دخل للعقل الظاهر فيها ، ولا صلة له بها — أما النظامون ، فإن القصيدة عندهم من مطلعها إلى مقطعها « وليدة » الذهن الواعى ... الواعى للتقليد والمحاكاة والسرقات !

ويقول الأستاذ فى مقاله « العبقرية والحرمان » : « إن العبقريات معادن . . بعضها يتوهج فى ظلال النعيم ، وبعضها يتأجج فى رحاب الفاقة والحرمان »

والذى أراه أن العبقريات لا تتوهج ولا تتأجج إلا فى سعير الحرمان الروحى ، أما الترف والفاقة فإنهما مظهران خارجيان لا يؤثران فى العبقريات إلا بمقدار ما يكون لهما من صلة بالحرمان الروحى . . وهذا الحرمان ألوان ؛ فهناك الحرمان من احترام الناس ، وهناك الحرمان من التمتع بالجمال ، وهناك الحرمان من الحب — والحب أنواع — ، إلى غير ذلك من ألوان هذا الحرمان . ولا يمكن لعبقرية من العبقريات أن تتوهج فى ظلال ترف لا يكون معه حرمان روحى ، أو تتأجج فى رحاب فاقة لا تولد مثل هذا الحرمان

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن ندرس العبقريات جميعها ، فنجدها كلها من هذه الناحية معدنا واحدا ، وليست معادن مختلفة

وقد كتب الأستاذ مقالا عن أبى العلاء كما يراه ، بالغ فيه القمة حين أثبت أن القلق هو الظاهرة الكبرى فى شخصية أبى العلاء ، وليس التشاؤم كما ذهب إلى ذلك غيره من الباحثين ، وحين أثبت أن سر هذا القلق هو ما كان يشكوه أبو العلاء من فراغ النفس ، وفراغ القلب ، وفراغ الجسد ، ثم رأى أن حرمان أبى العلاء من المرأة هو مصدر الحرمان كله ، ومركز الفراغ كله .. وذلك حق لا مرية فيه ، ولكن الأستاذ لم يبين السبب الذى من أجله حرم أبو العلاء من المرأة ، وذلك لازم لفهم هذه الشخصية النادرة . والذى أراه أن أبا العلاء هو المسئول عن حرمانه من المرأة ؛ لأنه حين صدمته الحياة سخط عليها سخطا شديدا دفعه إلى المجاهرة بآرائه الشاذة عن النسل ، وعن المرأة التى هى مصدر هذا النسل ، وعرفت عنه هذه الآراء ، واشتهر هو بها ، وأصبحت من عناصر شخصيته ، وخصائص فلسفته ، فلم يستطع أن يتراجع عنها ، ولم يستطع كذلك أن يجعلها بمعزل عن حياته ، حرصا منه على مذهبه الفكرى من مهاجمة الأعداء المتربصين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لأنه كان عنيدا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى . وهكذا حرم أبو العلاء نفسه من المرأة روحها وجسدها ، فكبرت عقدته النفسية ، وازداد معها قلقه النفسى ، وتبرمه بالناس وبالحياة

فشخصية أبى العلاء فيما نراه شخصية مريضة ، ظلت طول حياتها تعانى كبتا جنسيا وآخر نفسيا . وهى المسئولة عن هذين

الكتبتين أكثر من غيرها . وهناك سؤال وجه إلى الأستاذ المداوى عن هذين البيتين من شعر جميل :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى ... لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله

والسائل يعترض على قول جميل : لو أبصره الواشى لقرت بلابله ، ويرى فى ذلك تغييرا لطبيعة الواشى الذى لا تقر بلابله حين يرى العاشقين على هذه الحال من الطهر والبراءة ، ولكن تقر هذه البلابل حين يراهما فى حالة مريبة !

وقد أجاب الأستاذ عن هذا السؤال بشرح للبيتين يتمثل جوهره فى قوله : « هذا الواشى الذى يعنيه جميل لم « يبصر » هذا الذى يقنع به داعًا من حبه لبثينة ، ولو أبصر لما « تخيل .. لما تخيل أن كل محظور قد وقع فى عالم المنظور » -

وليس فى هذا الكلام ما يدفع اعتراض السائل ، وإنما يدفع اعتراضه أن نقول له إن الواشى هو فى صميم طبيعته النفسية عاش مغلوب على أمره ، أو حاسد يشقى بنعمة محسوده ، وهو هنا فى قول جميل عاشق لبثينة ، وحاسد له ؛ ومن شأن العاشق الحاسد أن « تقر بلابله » حين « يبصر » ما بين العاشق المحسود ، ومعشوقه الذى يحسده عليه ، فيعلم أنه شئ كالحرمان إن لم يكن أوجع منه ، وأشد إيلاما

ثم يبدى الأستاذ إعجابه بهذين البيتين من قصيدة بدوى الجبل فى أبى العلاء :

من راح يحمل فى جوانحه الضحى
هانت عليه أشعة الصباح
وجلا المصون من الضمائر ، فانتهى
همس النفوس لضجعة وصياح

مشاركا فى هذا الإعجاب الأديب السورى المعروف الأستاذ روحى فيصل . فهل علم الأستاذان الناقدان أن البيت الثانى قد نظر صاحبه إلى هذا البيت من شعر المتنبى فى صفة الجياد :

وتنصب للجرس الخفى سوامعا
يخلن مناجاة الضمير تنادبا

وهل علم الأستاذان الناقدان أن « الضحى والصباح » يثيران فى نفس السامع صورا مادية مبتذلة من شأنها أن تفسد الصورة الفنية التى تكون للكشف عن أسرار النفوس ؟ !

وكلمة أخيرة أحب أن أقولها قبل أن أدع القلم ؛ هى أن هذا الكتاب يضم بين دفتيه من الآراء والأفكار والنظريات ما يعد اتجاها جديدا فى النقد الأدبى ، ولذلك أقترح على وزارة المعارف أن تجعله ضمن كتب المطالعة الأدبية المقررة على تلاميذ المدارس الثانوية . وفى يقينى أن هذا الكتاب وحده يعد أجدى على التلاميذ من كل الكتب المفروضة عليهم فى البلاغة وتاريخ الأدب ، هذه الكتب التى تفسد الأذواق ، وتنحرف بالمواهب عن وجهها الصحيح

وأملى أن يستجيب وزير المعارف — وهو الرجل الأديب — لهذا الاقتراح ، وأن يضعه موضع التنفيذ

ابراهيم محمد نجا

تاريخ الأدب العربى

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر ، بأسلوب قوى ، واستيعاب موجز ، وتحليل مفصل ، واختيار موفق ، ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

طبع اثنتى عشرة مرة فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد

« بيام مشرق » لاقبال

نقله الى العربية سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

للاستاذ س. م. ى.

لقد عهد قراء «الرسالة» فى الدكتور عبد الوهاب عزام بك أديباً مطبوعا واثقا من نفسه، صامدا أمام تيارات الغرب، جادا فى تفكيره، صادقا فى تعبيره وأدائه، ومن أهم ما امتاز به هذا الأديب أنه واسع الأفق، اضطلع بالآداب الفارسية الغزلية والأردوية واطلع على الآداب الغربية؛ كما أن صدره انشرح لآمال الشعوب الإسلامية جمعاء متخطيا فى ذلك القومية الضيقة والوطنية المتطرفة ومع أنه انخرط فى السلك السياسى منذ أعوام إلا أنه لا يدع أعمال منصبه الجديد تصرفه عن رسالته الأدبية كما أنه لا يصعب عليه الجمع بين الدبلوماسية والصدق والإخلاص، ولا غرو فى ذلك فإن الدبلوماسية بين مصر والباكستان لا تتطلب إلا توفر روح الود والصداقة وشىء من الجرأة الأدبية فى مناصرة الحق والعدل من غير مبالاة بمصالح قصيرة الأمد.

ولعل الأوساط العلمية والأدبية قد سمعت عن العمل الأدبى الجليل الذى قام به أخيرا سفير مصر فى الباكستان، أعنى الترجمة العربية لـ « بيام مشرق » تصنيف الفيلسوف وشاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال الذى أراد أن يجعل من تلك المجموعة من الشعر رسالة من الشرق الى الغرب مضاهاة لما فعله الحكيم الشاعر الألمانى « جيته » فى ديوانه

وها أنذا أورد فيما يلى ملخصا لما كتبه الأستاذ برويز صاحب مجلة « طلوع إسلام » وهى من كبريات المجلات العلمية فى الباكستان، بشأن قيمة هذه الترجمة العربية وشخصية المترجم الكبيرة المتواضعة، وأثرهما فى توحيد الأفكار وتوثيق عرى الصداقة بين الأقطار الاسلامية

يقول الأستاذ برويز، وهو من كبار الباحثين عن المعارف القرآنية وفلسفة إقبال، فى عدد يوليو من مجلته «ألح على صديق لى منذ وقت قريب فى زيارة الدكتور عبد الوهاب عزام بك، وقد كنت راغبا عنها لضيق صدرى بمقابلة «الأمراء والكبراء» على وجه العموم، إلا أننى تو ما جلست أمام سعادة الدكتور عزام بك أيقنت بأننى إن لم أقم بتلك الزيارة لكنت قد حرمت نفسى من سعادة أية سعادة، فقد شعرت وأنا فى بهو السفارة المصرية الذى لا يعدمه شىء من أسباب الزينة والزخرفة ومظاهر البذخ والثراء — شعرت هناك كأننى فى صحبة « درويش » لم يأبه بما يجرى به التقليد من التقديم والتعارف وما إلى ذلك، بل أخذ يحدثنى عن كبار أئمة الأدب

والشعر مسترسلا فى ذلك على سجيته من غير أن يبدو فى حديثه أدنى أثر للصنعة والتكلف، بل كان بالعكس متسما بطابع الصدق وعمق التفكير، وهكذا انتهت المقابلة الأولى كما بدأت بدون أى اهتمام بالتقاليد الرسمية

ثم يتكلم الأستاذ برويز عن قيمة الترجمة العربية لشعر إقبال فيقول: والدكتور عزام بك من المفتونين بشعر إقبال وفلسفته، ومن حسن الحظ حقا أنه مستكمل العدة لترجمة إقبال إلى العربية ترجمة تحافظ على روح الشعر من غير إضرار بالخصائص اللفظية وذلك لعمرى ليس بالأمر الهين. إلا أن الله قد وهب الدكتور عزام ملكة قوية لقول الشعر بحيث أنه يقرض الشعر كما لو كان ينشد شعر غيره على التوالى، وهو يتمتع بقدرة فائقة على اللغة العربية — أعنى العربية الفصحى التى يفهمها ويتذوقها « الأعاجم » — مع تعمقه فى دراسة الفارسية والأردوية، أضف إلى ذلك أنه قد أحاط بجميع نواحى فلسفة إقبال وأدرك كنهها، وأخيرا يمتاز الدكتور عزام بأنه دائم التعطش ويسعى بالاستزادة من كل مصدر أيا كان

وإذن فيعتبر تصدى الدكتور عزام لترجمة شعر إقبال استجابة لدعاء إقبال نفسه لأنه، رحمه الله، كان شديد الرغبة فى إبلاغ رسالته إلى الأمة الاسلامية قاطبة، وقد صرح بأن هذه الرغبة هى التى حدت به إلى قول الشعر بالفارسية بدلا من الأردوية فى كثير من الأوقات، إلا أنه لم يكن فى وسعه — وكم كان يأسف لذلك — أن يتحدث إلى العرب بلغتهم، والآن

وقد وجد إقبال خير مترجم له في الدكتور عزام بك ، فلنأمل أن يؤدي الاطلاع على أفكار إقبال وفلسفته إلى «وحدة القلب» تلك الوحدة التي هي أسمى وأفضل من « وحدة اللغة » - كما يقول إقبال - بين الشعوب الاسلامية المختلفة ، ولعل الاطلاع على شعر إقبال أيضا يبرز الحقيقة التي عبر عنها إقبال بقوله : إن « لا إله إلا » لابد وأن يبقى كلمة غريبة مالم يشهد القلب به ، سواء في ذلك العرب والعجم كلاهما »

وترجمة الدكتور عزام تفيض بإعجابه الشديد بإقبال وإيمانه القوي بالمبادىء التي نادى بها شاعر الإسلام ، وإنه لمن الدهش حقا أن يتمكن المترجم لا من نقل الروح والمعنى فحسب ، بل من تتبع الأصل فيما يتعلق بالشكل وديباجة الشعر أيضا ، والترجمة مذيلة بكلمة شعر طويلة للدكتور عزام بك يعرض فيها خلاصة وافية لتعاليم إقبال ، ويبتهل إلى الله أن يكون انتشارها سببا لانقاذ العالم من محنته الحاضرة

ويختتم الأستاذ بروز كلمته باهداء التهاني إلى شعب مصر الذي قام ممثله بايجاد مثل هذه الحلقة المحكمة للربط بين العالم الاسلامي ، تلك الحلقة التي هي أبعد أثرا من أية عهود ومواثيق سياسية لأنها ترمي قبل كل شيء إلى «وحدة الفكر» ووحدة الفكر هي الأساس المتين « لوحدة العمل » لا غير

س . م . ى

الاسلام وجها لوجه

للاستاذ محمد خفاجي

الأستاذ « العمان » من خيرة شبابنا الذين يفهمون رسالتهم في الحياة على وجهها الصحيح ، ويذودون من حرية الرأي والقلم بكل ما يستطيعون ، ويرون للاصلاح في مصر والبلاد الاسلامية وجها واسعا غير الوجه الذي يسير فيه الآن ببطء وتعثر شديد وهو يقظ يقظة فكرية شديدة في رأيه ومعانيه وتعابيره

وقد صاحبته في كتابه « الاسلام حائر بين أهله » فوجدت ما يعجب كل قارىء من خصائصه الفكرية والأسلوبية

واليوم أقدم للقراء أثره الجديد الثاني وهو « الاسلام وجها لوجه » الذي أفاض فيه في شرح الاسلام ومبادئه ومناهجه ؛ دينا ودولة ، سيفا ومصحفا ؛ والذي يرسم فيه خطوط الاصلاح وفق نواميس الإسلام الخالدة ، وينقد مظاهر الحياة الاجتماعية الحاضرة على أضوائها ، ويفلسف عقيدة « الاخوان المسلمين » الدينية والاسلامية ؛ ويتحدث عن آرائه فيه بإيمان قوي

ولاشك أنه جدير بالعناية والاهتمام من كل قارىء وباحث ، لما حواه من جديد الآراء في الدراسات .

صلوات على الشاطىء

كتاب خصب ، ألفه الاستاذ أحمد الشرباصي الأستاذ بالأزهر الشريف ، ونشر هدية أدبية سنوية لمجلة البعثة الكويتية التي تصدر بمصر . . وقد طبع الكتاب بمطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة عام ١٩٥١ في نحو ١٢٨ صفحة طبعة أنيقة جميلة

والكتاب مذكرات أدبية روحية ، أملاها المؤلف على شاطىء رأس البر ، وقدمها إلى شاطىء الخليج العربي ، وصدرها باهداء إلى حضرة صاحب السمو الأمير المعظم الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت

وإذا كان أدب الطبيعة في اللغة العربية قليلا محدودا ، وكان أدب الشواطىء أقل وأندر . . فان هذه الفصول جديدة التصوير للطبيعة ومظاهرها ، وللبحر وأسراره ، وللنفس الإنسانية وأغوارها

ولا شك أنها متعة أدبية روحية عالية ، وأثر طيب من آثار الشرباصي المفعمة بالروحية الصادقة ، والصوفية الطاهرة ، ومختلف المشاعر الحية .

محمد خفاجي